مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 2 (رت 76) السنة: 2024

تجليات جمالية الأسلوب والمعنى في تفسير ابن باديس "مجالس التذكير"

Manifestations of aesthetic style and meaning in Ibn Badis's interpretation of "Remembrance Councils"

د. وهيبة بهلول[1]
جامعة تبسة، (الجزائر)
abdarrahimmenaceur@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/11/09 القبول 2024/01/23 النشر على الخط 2024/03/15
Received 09/11/2023 Accepted 23/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى رصد ملامح الجمالية كمنهج من منظور إسلامي وتجلياتها في تفسير القرآن الكريم للإمام عبد الحميد بن باديس والمعروف بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ؛ واستنباط أبرز معالم الأسلوب الفني الجمالي التي اعتمدها العلامة في تفسيره.

الكلمات المفتاحية: الجمالية الاسلامية، تفسير ابن باديس، المنهج الجمالي، الأسلوب الفني الجمالي.

Abstract:

This research paper aims to monitor the features of aesthetics as a method from an Islamic perspective and its manifestations in the interpretation of the Holy Qur'an by Imam Abdul Hamid Ibn Badis, known as the Councils of Remembrance from the Words of the Wise, the Expert; And deducing the most prominent features of the aesthetic artistic style that the scholar adopted in his interpretation.

Keywords: Islamic aesthetics, interpretation of Ibn Badis, aesthetic approach, aesthetic artistic style.

[1] المؤلّف المراسل: وهيبة بهلول البريد الإلكتروني: **abdarrahimmenaceur@gmail.com**

1. مقدمة:

يعد الاهتمام بجماليات النص القرآني لغويا وبيانيا وموضوعيا من بين أبرز مواضيع الدراسات القرآنية التي استرعت جهود جملة من المفسرين القدامى والمحدثين وأسالت مداد كثير من الباحثين أمثال سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن الكريم وتفسيره الظلال وكذا الباحثة عائشة عبد الرحمن في كتابها التفسير البياني للقرآن الكريم. ويعد ابن باديس عالم الجزائر الفذ صاحب تفسير مجالس التذكير من بين أولئك المفسرين المجتهدين الذين اهتموا بجماليات القرآن الكريم لفظيا ومعنويا في سبيل الدعوة والإصلاح، فيعد تفسيره في الجزائر آنذاك تفسيرا جديدا متميزا ؛حيث جمع فيه بين استنباط الجماليات الفنية الأسلوبية للآيات مع استكناه جمالياتها الموضوعية وربطها بالواقع الاجتماعي والعلمي، وهذا ما تدعو إليه الجمالية الإسلامية.

من أجل ذلك جاءت هذه الدراسة لاستنباط معالم المنهج الجمالي الإسلامي في تفسيره مقرونة بعرض نماذج تطبيقية تعزز هذا التوجه لإبراز تلك النظرة المتكاملة التي اعتمدها العلامة. وقد اعتمدت لتحقيق ذلك **المنهج الاستقرائي التحليلي** الذي ينطلق من مدارسة التفسير ثم استنباط العبارات والأفكار والمواضع الدالة على انتهاج ابن باديس للمنهج الجمالي في مجالس التذكير. فجاء البحث بعنوان تجليات الجمالية الاسلامية في تفسير عبد الحميد بن باديس للقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لقد عني بهذا التفسير الفريد عدد لا يستهان به من الباحثين؛ فمنهم من اهتم بالجانب الإصلاحي الذي كان يصبو الشيخ إلى تحقيقه ، ومثال ذلك رسالة ماجستير للباحث عبد العالي بن خميسي باي زكوب المعنونة بـ : **تفسير الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس المنهج والخطاب الاصلاحي** الجامعة الإسلامية ماليزيا.

وهناك من اهتم بالجانب اللغوي فقط، وألفيت ذلك في رسالة ماجستير معنونة بـ: **مستويات الدرس اللغوي في تفسير مجالس التذكير** لعبد الحفيظ شريف، إشراف أ.د صالح بلعيد جامعة تيزي وزو.

وهناك من اهتم بالمنهج النقدي الذي امتاز به التفسير ومخالفته للتفاسير السابقة له إن خالفت المنطق العقلي والعلمي، مثل دراسة بعنوان: **المنهج النقدي في التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس** للدكتور محمد الدراجي.

وهناك من عني بتبيان اهتمام العلامة بالإعجاز في القرآن الكريم، مثل دراسة نبيل بن أحمد بلهي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المعنونة بـ: **إعجاز القرآن عند عبد الحميد بن باديس جمعا ودراسة**. وكذلك دراسة عبدالرحمن سلوادي **عبد الحميد بن باديس مفسرا** التي قدم فيها صور عامة عن مجالس التذكير، كما تناول اهتمام ابن باديس بالإعجاز العلمي في القرآن.

لكن لم أجد حسب اطلاعي دراسات أُفردت لتتبع تجلّي مفهوم المنهج الجمالي الإسلامي في تفسير ابن باديس، وهو موضوع جدير بالبحث والدراسة لأن هذا المنهج يجمع فيه المفسّر بين الاهتمام بالجانب اللغوي والبياني وكذا الموضوعي دفعة واحدة أثناء تفسيره، مما يسهم في تذوق المتلقي حلاوة القرآن وتيسير فهمه والانبهار بجمالياته . من أجل ذلك جاءت هذه الدراسة للاجتهاد في الإجابة عن جملة من التساؤلات التي أفرزها عنوانها أهمها: كيف وظف ابن باديس مبادئ المنهج الجمالي الإسلامي في مجالس التذكير؟ وكيف تجلت معالم هذا المنهج في تفسيره؟ وما مدى خدمة هذا الاتجاه في التفسير للهدف الدعوي الإصلاحي الذي يروم الشيخ تحقيقه؟ وماهي خصائص أسلوبه أثناء تفسيره للقرآن تفسيرا جماليا؟

أهداف الدراسة: هذه الدراسة المزمع تقديمها من شأنها استقراء معالم المنهج الجمالي التي اعتمدها ابن باديس مع تقديم نماذج لها من تفسيره بما يتناسب وحجم البحث المقيّد بصفحات محددّة، كما تهدف إلى تقديم صورة مركّزة عن الخصائص الفنية الموضوعية لأسلوبه في مجالس التذكير.

2. الجمالية منهجا لدراسة القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي كان وما يزال محط اهتمام كثير من الدارسين والباحثين؛ لأنه مثّل المعجزة الخالدة لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك المعجزة التي تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثلها؛ لذلك فقد كثرت الدراسات التي تحاول فهم هذا الكتاب العزيز لإبراز جوانب إعجازه وتلمس مظاهر الجمالية فيه ولأجل هذه الغاية انقسمت مناهج الدارسين للنص القرآني بصفة عامة الى منهجين: **"منهج اهتم بالمضمون على أساس أن القيمة الجمالية في المحتوى الفكري ومعظم هذه الدراسات تصب في منهج التفسير الموضوعي والعلمي ومنهج اهتم بتتبع مناحي الجمال في الشكل والأسلوب ومنهم من تطرّف كثيرا في النظرة الشكلية حتى أدى به الى نقص المضمون"**[1]

وانطلاقا من هذه الاختلافات في تحديد جماليات القرآن ظهرت دراسة توفيقية بين المنهجين السابقين حاولت أن تجمع بين جماليات الأسلوب والتعابير وجماليات المحتوى والمعنى متمثلة في المنهج الجمالي الاسلامي. لكن السؤال :كيف يمكن توظيف الجمالية كمنهج للدراسة بما يتناسب مع منهج القرآن؟ وهل الجمالية منهج أصيل نابع من التصوير القرآني؟ وما هي الآليات الإجرائية التي يقدمها هذا المنهج؟

إن الأعمال القيمة التي قدمها سيد قطب تعتبر أحسن جواب عن تساؤلاتنا السابقة فجهود الرجل كانت مفتاح المنهج الجمالي في القرآن الكريم ، والتي انتقلت من دراسة أهم مراحل تذوق الجمال الفني في القرآن انطلاقا من مرحلة التذوق الفطري والتي مثلها الصحابة رضوان الله عليهم إذ لم يعللوا ما كانوا يجدونه من أثر القرآن عليهم وتأثيره فيهم، فعن عمر رضي الله عنه قال في تأثير القرآن الكريم في نفسه " فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام".ثمّ جاءت **مرحلة إدراك بعض مواضع الجمال المتفرقة** :وتبدأ من منتصف القرن الثاني للهجرة ؛ حيث أنه في هذه الفترة نظر أصحابها للقرآن نظرة جزئية للآية ومثّل هذه المرحلة كلّ من الجرجاني والزمخشري[2].

وفي الأخير تم استكمال خصائص المنهج الجمالي الإسلامي في مرحلة إدراك الخصائص العامة الموحدة للجمال الفني القرآني في العصر الحديث وكان ذلك في اكتشاف سيّد قطب للتصوير الفني في الأسلوب القرآني ومن ثم فقد عُدّ من المنظرين الرواد للجمالية مصطلحا ومنهجا، فقد اكد في دراساته على أصالة وتميز الجمالية الإسلامية كمنهج نابع من صميم التصوير القرآني، " **وهذا الوصال بين الدين(القرآن) تصورا والجمالية منهجا يتّسق مع الناموس الكوني العام وأي انحراف عن التصور هو تشويه لحقيقة الجمال"**[3]

---

[1] ليلى بلخير، قصص أولي العزم من الرّسل، دراسة فكرية جمالية، ماجستير في الدراسات القرآنية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2000/1999،ص 47.

[2] محمد أحمد الأشقر، الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث ، دار وائل للنشر، ط1، 2003، ص73.

[3] ليلى بلخير، قصص أولي العزم من الرّسل، دراسة فكرية جمالية، ص 68.

ومن ثم لا يمكن بأي حال من الأحوال الحكم على الجمالية الاسلامية من منظور وثني جعل همه منصبا على تحقير واستصغار عطاءات وجهود الأمة الإسلامية، ومحاولة نسب أي قيمة أو فضل في تاريخ الوعي الجمالي العربي إلى الإغريق وذلك لقطع صلته بجذوره الأصيلة؛ الأمر الذي دفع بالعديد من الدارسين الغيورين على الدين الاسلامي أن يقفوا أمام هذه الهجمة الشرسة وذلك بنشر مؤلفات تؤكد على أصالة الظاهرة الجمالية في الإسلام ويؤكد أن الجمالية تستمد وجودها وهويتها من التصور الإسلامي لا أن " **تستورد لبوسا يضيق بمحتواها ويقبح جمالياتها ويجمل المضامين المحرفة عن تصورنا وبيئتنا**" [1] ، فالصلة بين الدين والجمالية وثيقة وبذلك اكتمل تأصيل المنهج الجمالي في دراسة وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث. فمهد سيد قطب الطريق لمن يليه من المفسرين والأدباء والعلماء والنقاد لهذا المنهج في دراساتهم للقرآن الكريم أمثال: أحمد بدوي في كتابه بلاغة القرآن، تقي الدين في كتابه من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن ومحمد رجب البيومي وكتابه البيان القرآني وكتابيه الإعجاز البياني والتفسير البياني اللذان يعدان من" **أبرز الدراسات الأدبية للقرآن الكريم في العصر الحديث فقد جاءت خير تطبيقا على المنهج الأدبي**"[2].

وقد تبنت بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن المنهج الجمالي في دراستها القرآن الكريم والذي يقوم على الأسس الآتية:

1-التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه فيجمع كل ما في القرآن الكريم منه ويهتدي بمألوف استعماله الألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، والذي يتم فيه أخذ اللفظ أو الآية متقطعا من سياقه العام في القران كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو لمح ظواهره الاسلوبية وخصائصه البيانية .

2-فهم حول النص بأن تكون الروايات في أسباب النزول موضوع اختبار في فهم الظروف والقرائن التي لابست نزول الآية؛ وذلك من أجل فهم السياق العام لما نتدبره من آيات القرآن ودلالات ألفاظه وخصائص بيانه في المصحف كله .

3-فهم دلالات الألفاظ بأن يضع الباحث معاجم العربية وكتب التفسير في خدمة هذا المنهج ليدرك حس العربية للألفاظ التي يتدبرونها من النص القرآني عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها لكل لفظ وتدبر سياقه الخاص في الآية والسورة وسياقها العام في القرآن الكريم.[3]

4-فهم أسرار التعبير وذلك بالإحتكام إلى سياق النص الوارد فيه " **ونحن نتحدث عن الإسلام نجد أنفسنا أمام ظاهرة جمالية مترامية الأطراف استقرت قاعدتها في جذر شجرة الإسلام لتحوط الشوق روائها وتنساب بعد ذلك من خلال الأغصان مغذية الأوراق والثمار، وإذا الحيوية والرونق هما الظاهر البادي للعين ومن ورائه الحقيقة الجمالية ...إنها الصبغة الإلهية لهذا الدين**" [4]

---

[1] ليلى بلخير، الجمالية نحو رؤية إسلامية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ع11، جامعة تبسة، ص 293.

[2] محمد أحمد الأشقر، الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، ص113.

[3] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1،دار المعارف، دط، د بلد، 1990، ص 10.

[4] صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الاسلام، المكتب الاسلامي، بيروت ودمشق ،الطبعة 1، 1408هـ/1986م، ص107.

ومن هنا كان المنهج الجمالي الإسلامي نابعا من خلفية دينية واحدة سليمة القواعد والأسس، وقد حاولت دراسة الأقدمين تأكيد ذلك انطلاقا من دراساتهم التي ظهرت حول إعجاز القرآن الكريم، فمنهم من رأى الإعجاز في المعنى والآخر رآه في المبنى إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني ليبين أن الإعجاز القرآني يكمن في النظم ومن هنا انبثقت دراسات جديده تحاول الجمع بين جمال المعنى وجمال المبنى، ومثال ذلك ما نجد عند العلماء المحدثين على طلعتهم محمد عبده " **الذي تحدث عن وجه الإعجاز القرآني بإخباره عن مغيّبات عديدة إلا أنه يبرز وجه الإعجاز البياني في الأسلوب والنظم**"[1] وإذا كان محمد عبده قد اتبع أصول الطريقة الأدبية في تفسير بعض سور القرآن الكريم فإن سيد قطب فسر القرآن كله تفسيرا أدبيا وكان هذا التفسير الأول الذي عني بإبراز الصور الجمالية في القرآن، فنظر إليه نظرة شاملة ففي القرآن وحدة موضوعية متكاملة، إذ تُعدّ كل سورة فيه وحدة جزئية قائمة بذاتها كما أن لها دورا رئيسيا في كل القرآن المتناسق .كذلك كانت نظرته لجمالية القرآن شاملة ذلك أنه جعل الجمال القرآني في الشكل والمضمون وليس مقصورا على أحدهما [2].

ومن ثم فالباحث هنا ينتفع بجهود المفسرين إذ يعرض أقوالهم على القرآن الكريم فيقبل منها ما يحتمله نصا وسياقا ويترك الآخر" **لتحاشي التورط فيما أقحم على كتب التفسير من بدع التأويل والتأويلات المذهبية ومدسوس الإسرائيليات يحتكم هذا المنهج أيضا إلى ما يهدي به الاستقراء القرآني من وجوه بيانية وظواهر أسلوبه .ولو خالفت بعض قواعد النحويين وأحكام البلاغيين فالأصل أن تعرض قواعدهم وأحكامهم على البيان الأعلى لا أن تعرض القرآن عليها وتخضعه لها . إذ القرآن هو الذروة في نقاء أصالته وإعجازه البياني وهو النص الموثوق الذي لم تشُبه أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصوص الفصحى من تحريف أو وضع**[3] . ومن هنا فقد استفاد سيد قطب من جهود الباحثين السابقين له للتأصيل لمنهج جمالي إسلامي له نظرة مجملة للقرآن لأن" **القرآن جميعه يدور على معنى كلي واحد هو دعوة الناس أن يكون عبيدا لله بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيدا بالجبر والاضطرار وأن أمامهم حياة ثانية تضؤل أمامها الحياة الحاضرة، والقرآن يبث هذا المعنى الكلي الخطير في جميع موضوعاته من تشريع ووعد ووعيد وقصة وأمثلة ووصف**"[4] لذا كانت الجمالية كمنهج نابع من تصور إسلامي ثابت أنسب المناهج لدراسة وتفسير القرآن الكريم.

2. منهج ابن باديس في تفسير القرآن الكريم

إن المصدر الأول للجمالية الإسلامية هو القرآن الكريم وتدور على فلكه ثلاث دوائر دائرة التفسير فدائرة الدراسات القرآنية ثم دائرة النقد في انفتاحها على الإضافات الإنسانية المتجددة ؛ ومن ثم تستمد الجمالية الإسلامية أبعادها من المحور الثابت ووسائلها من الدوائر المتلاحقة تأثيرا وتأثرا.[5] وباعتبار تفسير القرآن الكريم من الدوائر التي تستمد منها الجمالية الإسلامية وسائلها كان لزاما أن لا يُتناول التفسير إلا من خلال هذه الدراسة –أي الجمالية كمنهج – ويعد تفسير ابن باديس من أهم تفاسير القرآن

[1] محمد أحمد الأشقر، الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، ص165.

[2] المرجع نفسه، ص 82.

[3] المرجع السابق، ص115.

[4] نعيم المحصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 ، 1980، ص407.

[5] ليلى بلخير،" يستحيل الفصل بين الجمال والمنظور الإيديولوجي"، مجلة النور الجديد، ع53، الجزائر، 2002، ص 18.

الكريم في العصر الحديث كونه تجلت فيه بوضوح معالم الجمالية الإسلامية كمنهج ومن ثم كان لزاما أن نتعامل مباشرة مع هذا التفسير لاستخراج هذه المعالم ومدى تجليها في أسلوبه.

1.2 . البعد الجمالي في تفسير ابن باديس:

إن المنهج الجمالي في تفسير القرآن الكريم يبدأ بالبحث **"عن الجمال الفني (الشكلي) في القرآن وتناسقه مع الجمال الموضوعي البالغ حد الكمال"** [1] لإبراز الصورة الجمالية المكتملة في القرآن الكريم. ولعل المطلع على تفسير ابن باديس يجد أن المنهج الذي اتبعه في تفسيره لكلام الله يقترب إلى حد كبير من المنهج الذي أرسى معالمه سيد قطب في كتابه التصوير الفني وطبقه في تفسير الظلال، وفي هذا المقام لا يعنينا أيهما الأسبق في تطبيق هذا المنهج، والذي يهم الباحث هنا أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس اختار لنفسه أسلوبا جديدا إن لم نقل فريدا في تفسيره للقرآن الكريم، إذ اهتم بالجوانب اللغوية والتركيبية والشكلية للآيات ووضح مدى أهمية معرفة هذه الجوانب للوصول إلى المعنى الصحيح للآيات. أليس هذا ما دعت إليه الجمالية الإسلامية كمنهج يهتم بمدى تناسق الجانب اللغوي والفني للآيات والسور مع الجانب الموضوعي (المعنى لها).

لقد جسد ابن باديس معالم هذه الجمالية في تفسيره وسنحاول توضيح هذه المعالم من خلال القيم التعبيرية والشعورية التي يتميز بها تفسيره، وذلك بعد اختيارنا لنماذج من تفسيره. فمما ذُكر آنفا أنه من أهم معالم الجمالية الإسلامية:

1* فهم دلالات اللفظ بما يتماشى مع السياق القرآني: وذلك بأن يضع المفسر معاجم العربية وكتب التفسير في خدمة هذا المنهج مع فهم أسرار التعبير بالاحتكام إلى سياق النص الوارد فيه، والمفسر هنا ينتفع بجهود المفسرين إذ يعرض أقوالهم على القرآن الكريم فيقبل منها ما يحتمله نصا وسياقا ويترك الآخر وهذا ما عمل به ابن باديس مقتديا بما عمل به شيخه النّخلي إذ قال له كما يقول ابن باديس: **"اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح، فو الله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقا واسعة لا عهد لي بها"**[2] .

***النموذج الأول:**

نجد ابن باديس كثيرا ما يخالف المفسرين القدامى بل وينتقدهم في حمل اللفظ على غير ظاهره ما دام الظاهر يطابق الحياة الواقعية، كالذي يراه في قوله تعالى: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} [3] ؛ فقد رأى الشيخ أن هذه الآية وما سبقها بينت لنا جوانب كثيرة من تاريخ العرب المدني والحضاري، فهو نص صريح على قدراتهم في التخطيط للمدن والعمران بوجه عام. وقد ذهب العلماء إلى تفسير لفظة مصانع بأنها مجاري للمياه لكن ابن باديس لم يعجبه هذا الاتجاه التفسيري فخالفهم ،فقال: **"ليت شعري ما الذي صرف المفسرين عن معنى الصنع اللفظي الاشتقاقي؟ والذي أفهمه ولا أعدل عنه، هو أن المصانع جمع مصنع من الصنع، كالمعامل جمع معمل وأنها مصانع حقيقية للأدوات التي تستلزمها الحضارة ويقتضيها العمران وهل كثير على أمة**

---

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، 1980، ص 26.

[2] عمار الطالبي، ابن باديس حياته وآثاره، دار الغرب الاسلامي، ج1،بيروت، لبنان، ط3، 1997، ص 78.

[3] القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، سورة الشعراء، الآية 129.

توصف بما وصفت فيه في الآية أن يكون لها مصانع، بمعناها العرفي عندنا؟"[1] فهو يذهب إلى أن المصانع والمنشآت المماثلة لها، علامة من علامات تحضر الأمم ورقيها فهو يخالف من سبقه ممن فسرها على أنها تعني مجاري الماء؛ فاتجاهه في هذا التفسير تشهد له بذلك الدلالة اللغوية لمصانع كما وردت في معاجم اللغة العربية فمن بين معانيها اللغوية "ما يصنعه الناس" ثم مما يقوي تفسيره لها أيضا السياق القرآني الذي وردت فيه اللفظة ؛ وذلك بالنظر إلى الآية التي قبلها في قوله تعالى{ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ}يشمل كل المعاني التي ذكرها المفسرون للمصانع من حصون ومجاري المياه ...ثم يأتي قوله تعالى: وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون الذي يفيد معنى جديدا غير مذكور في الآية التي قبلها[2].

***النموذج الثاني:** من خلال استقراءنا لمجالس التذكير كان مما ألفياه أيضا من مخالفته لتفسير من سبقه تفسيرهم للسائحين والسائحات بالصائمين والصائمات، فيقول:" **والحق أن السائحين هم الرحالون والرواد للاطلاع والاكتشاف والقرآن الذي بحث على السير في الأرض والنظر في آثار الأمم الخالية، حقيق أن يحشر السائحين في زمر العابدين والحامدين الراكعين والساجدين، فربما كانت فائدة السياحة أتم وأعم من فائدة بعض الركوع والسجود"** [3].

فمن خلال هذا النموذج نرى أن مخالفة ابن باديس لغيره من المفسرين كان مبنيا على أسس نحوية وبلاغية سليمة إلى جانب الاحتكام إلى السياق الذي وردت فيه كلمة مصانع، ولعل هذا أول معلم من معالم الجمالية الإسلامية كمنهج تضمنه تفسير ابن باديس.

2* اعتماد المنهج النقدي في التفسير: فهو من أبرز معالم الجمالية الإسلامية؛ ذلك أن هذا المنهج يحتكم إلى ما يهدي الاستقراء القرآني من وجوه وظواهر أسلوبه ولو خالفت بعض قواعد النحويين، لأن الأصل أن تعرض قواعدهم وأحكامهم على البيان الأعلى لا أن تعرض القرآن عليها وتخضعه لها إذ القرآن هو الذروة في نقاء أصالته وإعجازه البياني. وهذا ما ألفيناه في مواضع عديدة من تفسير ابن باديس، فأحيانا تقوده الدقة في فهم معنى الآية إلى مخالفة الرأي الشائع عند النحاة والمفسرين.

***النموذج الأول:** في تفسيره للآية: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ} [4]، هنا يعرض ابن باديس آراء غيره من النحاة مهتديا في ذلك بالمعنى الذي تؤديه الآية، فالنحاة ومنهم الخليل يقولون أن **يضاعف** بدل من **يلق** وهو بدل كل من كل لأن مضاعفة العذاب هي لقي الآثام، لكن ابن باديس يخالفهم فيما ذهبوا إليه فيقول " **وعندي أنه بعض من كل لأن لقي العذاب على تلك الآثام يكون في الدنيا الآخرة ومضاعفة العذاب والخلود تكون في الآخرة ..."** [5]

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: محمد صالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، دار الكتاب الجزائري، الجزائر، دط، دت ، ص394، 395.

[2] محمّد دراجي، "المنهج النقدي في التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس"، مجلة موافقات، العدد 6، السنة 6، الجزائر، 1418هـ/1997م، ص 198.

[3] مجالس التذكير، ص 395.

[4] سورة الفرقان، الآية 69.

[5] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص223.

*النموذج الثاني:

ومن المواضع الأخرى التي خالف فيها آراء النحاة معتمدا على معنى الآية، وليس على النحو كقوالب خارجية من وضع البشر فهي كما تصيب تخطئ، كلمة {نزّل} الواردة في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} [1]حيث يقول {نزّل يأتي مرادفا لأنزل والتضعيف أخو الهمزة ويأتي مفيدا للتكثير، فيفيد تكرر النزول وتجدده، وخرج على هذا قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [2]

وبالعودة للآية التي هو بصدد تفسيرها يقول: " **أما هنا فلا يصح حمله على التكثير المفيد للتدريج، لئلا يناقض قولهم جملة واحدة... وعندي أن { نزّل } المضاعف يرد لكثرة الفعل ولقوته، فجاء لكثرته في آية آل عمران المتقدمة، وجاء لقوته في هذه الآية لأن إنزال الجملة مرة واحدة أقوى من إنزال كل جزء من الأجزاء بمفرده**"[3]، فابن باديس هنا لا يفرض القواعد النحوية والصرفية على آي القرآن المصدر الأول للعربية، بل يحتكم إلى سياق الآيات فإن وافقت القواعد النحوية هذا السياق وخدمت المعنى، فبها ونعمت وإن لم تخدمه وخالفته يرفضها الشيخ ويكيّفها مع سياق الآية وهذا ما فعله في الأنموذج السابق.

***النموذج الثالث:** ومن النماذج التي خالف فيها المفسرين حملهم لبعض التراكيب في سورة سبأ على غير وجهها الصحيح وذلك في قوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) (...) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)} ، فقد ذهب بعض المفسرين إلى تفسير قوله تعالى: {رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}أن هؤلاء القوم دعوا الله بأنفسهم حتى يباعد بين أسفارهم ؛ فقد كانوا يعيشون حياة طيبة رغدة ضمن عمران متصل بعضه ببعض يعمهم الأمن والأمان ليلا ونهارا إلى أن بطروا النعم التي كانوا فيها فجاء ابن باديس ليعارضهم فيما ذهبوا إليه؛ لأنهم توقفوا عند الجانب الظاهري للآية ولم يتعمقوا فيها بما يوافق المنطق العقلي، فيقول:" **وأما قوله تعالى:(قالوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) فإن المفسرين السطحيين يحملونه على ظاهره وأي عاقل يطلب بعد الاسفار؟! والحقيقة أنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم وإنما هو نتيجة أعمالهم ومن عمل عملا يفضي إلى نتيجة لازمة، فإن العربية تعبر عن تلك النتيجة بأنها قوله وهذا نحو من أنحاء العربية الطريفة**" [4]. ففي النماذج السابقة يتضح جيدا الأسلوب النقدي الذي كان يتبعه ابن باديس في تمحيص أقوال السابقين؛ فهو شديد الدقة في التعامل مع الألفاظ والتراكيب القرآنية فلا يتبع من سبقه إلا بما يقبله العقل ويوافق الحق وهذا من سمات المنهج الجمالي في تفسيره.

3* **التناول الموضوعي للآيات (الوحدة البنائية):** من أهم معالم الجمالية الإسلامية وفيه يفرغ المفسّر لدراسة الموضوع الواحد، فيجمع كل ما في القرآن منه، وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، والذي يأخذ اللفظ والآية فيه متقطعا من سياقه العام في القرآن مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدّلالة القرآنية، وهذا ما تجاوزه ابن باديس في تفسيره، فنجده يبدأ تفسيره في غالب الأحيان بشرح موجز يحقق به الربط بين ما هو بصدده وبين ما سبق وهذا ما يعرف بالوحدة العضوية، حتى

[1] سورة الفرقان، الآية 32.

[2] سورة آل عمران، الآية 3.

[3] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 290.

[4] مجالس التذكير، ص 399.

يهتدي القارئ إلى الوحدة الموضوعية للسورة "**فلا يخفى عليه من المعنى الذي يقدمه المغزى الذي سيقت من أجله الآيات، والخيط الذي انتظمت فيه معانيها وهو يضع شروحه تلك تحت عنوان المناسبة أو وجه الارتباط**"[1]

إذ يجعل من الآية التي هو بصدد تفسيرها مناسبة للآية التي بعدها، وهكذا جرى الأمر في معظم الآيات التي فسرها والذي نستشفه من هذه الطريقة أن معنى كل آية لا ينفصل عن معنى الآيات الأخرى للسورة المفسرة، وكل سورة لا تنفصل عن بقية سور القرآن الكريم، وهو ما يعرف بـ "**الوحدة البنائية للقرآن الكريم، فالمقصود منها أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وبالتالي لا يجوز النظر فيه بشكل مجتزئ، بل يجب مراعاة الوحدة البنائية فيه، وأن ترد معاني الآيات بعضها إلى بعضها الآخر، تحاشيا للفهم المجتزإ الذي لا يعبر عن المعاني المطلوبة منها حقيقة.**" [2]، وبالتالي فالقرآن كل متكامل من لدن ربّ متعال وهذا مكمن جمالياته.

***النموذج الأول (الوحدة العضوية في تفسير آيات السورة الواحدة):**

من أهمّ النّماذج التي تجسّدت فيها الوحدة العضوية بين الآيات، تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس لقوله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} [3] ؛ حيث قال في مناسبة هذه الآية " **لما ذكر في الآيات المتقدمة صفاتهم وأعمالهم ذكر ما أعد لهم من عظيم الجزاء على تلك الأعمال تنبيها على ما وضعه تعالى بمشيئته وحكمته ورحمته من الإرتباط بين الأعمال وهذا الجزاء**" [4] فعند قراءتنا لهذا التفسير لا نعرف لمن أُعِدَّ هذا الجزاء العظيم وهذا نتيجة لارتباط هذه الآية بالآيات التي سبقتها ولذا لابد علينا أن نطلع عليها حتى يكتمل لدينا المعنى وتتضح لنا الصورة، بقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {63} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا {64} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا {65} إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {66} وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا {67} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا {69} إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {70} وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا {71} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا {72} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا {73} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا 74}[5] فعرضنا هذه الآيات جميعا حتى نفهم قوله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ

---

[1] حسن عبد الرحمن سلوادي، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1988،ص69.

[2] عبد العظيم صغيري، علم الجمال رؤية في التأسيس القرآني، الصادر عن كتاب الأمة وهي سلسلة دورية تصدر كل شهرين، ع151، السنة 32، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2012، ص 145.

[3] سورة الفرقان، الآية 75.

[4] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 240.

[5] سورة الفرقان، الآيات 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74.

بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} [1] فهذا مثال يعزز ما تم قوله عن الوحدة العضوية بين الآيات المفسرة كطريقة اتبعها الشيخ في تفسيره للقرآن الكريم. [2]

*** النموذج الثاني (الوحدة الموضوعية):**

يقول تعالى :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)} [3] وردت هاتان الآيتان في مجالس التذكير تحت عنوان "بر الوالدين" فيبيّن ابن باديس في تفسيرهما المكانة العظيمة التي منحها الله عز وجل لهما؛ فقد قرن ذكرهما بذكره وعبادته بالإحسان إليهما[4]، ولتعميق هذا المعنى في النفوس وترسيخه في الأذهان أورد الشيخ آية من سورة النساء تعضد ما ذهب إليه آنفا في قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } الآية 36.

ثم يواصل عرض آية أخرى من سورة لقمان تفيد اقتران شكر الله بشكرهما { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)} فيرى أن هذه الآيات جميعا جاءت في باب الأمر بطاعتهما والإحسان إليهما؛ **"وفي هذا الجمع في القضاء والحكم بالإحسان والأمر بالشكر لهما مع الله تعالى أبلغ التأكيد وأعظم الترغيب"** [5]

فتفسير آيتي سورة الإسراء المرتبطة بالوالدين لا يكتمل إلا بتفسير جملة من الآيات الكريمة من سور أخرى تتناول موضوع الوالدين ومكانتهما عند الله عز وجل؛ فيواصل الشيخ عرض جملة من الآيات القرآنية الكريمة

التي تفصّل أمر الله للإنسان بطاعة والديه؛ وهذا التواصل المبهر بين سور القرآن الكريم من أبرز أوجه جمالياته وإعجازه. [6]

***النموذج الثالث:**

نجد التناول الموضوعي أيضا في تفسيره لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}[1] ، فقال في تفسيرها: **"معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار"** [2]، وليعضد هذا التفسير نجده يورد آيات كريمة أخرى تتناول هذا المعنى

---

[1] سورة الفرقان، الآية 75.

[2] ومن النماذج الأخرى التي تجلت فيها الوحدة العضوية في منهج تفسير ابن باديس تفسيره للآية 82 من سورة الإسراء وذلك تحت عنوان القرآن شفاء ورحمة فقبل البدء بتفسيرها أشار إلى تفسير الآية التي قبلها، وحتى يفهم القارئ ما يرمي إليه الشيخ عليه بالعودة للمصحف ليقرأ الآية 81. حتى يستطيع الدخول في جو تفسير الآية التي بعدها. ينظر مجالس التذكير، ص 141، 142، 143.

[3] سورة الإسراء، الآيتان 23 ،24.

[4] مجالس التذكير، ص66.

[5] المرجع نفسه، ص66.

[6] ، فيذهب في تفسير الآية 8 من سورة العنكبوت {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا }إلى أن هذا الأمر الربّاني الذي جاء بلفظ التوصية، ورد ليحفظ حكم الله وأمره فيهما فلا يضيع شيء من حقوقهما .ولا يتوقف ابن باديس عند هذه الآيات فحسب بل يعرض لأخرى ذات صلة بموضوع الوالدين وجميعها يصب في أمر الله عز وجل بطاعة الوالدين والإحسان إليهما وصلتهما وبيان فضلهما، كما يستعرض أيضا جملة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تتناول موضوع الوالدين ومكانتهما في الإسلام ، كل ذلك ورد ليعضد تفسيره للآيتين 23،24 من سورة الإسراء. ينظر: مجالس التذكير الصفحات 67 ،68 ،69 ،70 ،71 ،72.

نفسه منها قوله تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[3]، هكذا تجلى اهتمامه في تفسيره لكلام الله تعالى بالوحدة الموضوعية باعتبارها من أهم معالم المنهج الجمالي الإسلامي.[4] فإسقاطنا لمعالم هذا المنهج على تفسيره كان بغرض استجلاء البعد الجمالي فيه وهذا ما تحقق لنا فعلا وليس هذا فحسب؛ إذ أثناء تعاملنا المباشر مع التفسير وجدنا الجمالية الإسلامية كمنهج يبدأ بالبحث عن الجمال الفني في القرآن وتناسقه مع الجمال الموضوعي متجسدا بوضوح فيه. فالجانب الفني (اللغوي، النحوي، البلاغي..) للآيات القرآنية لا ينفصل عن الجانب الموضوعي بل هما متكاملان يمثلان معا الجمالية الحقيقية للقرآن الكريم.

ومن خلال ما سبق تجلت لنا أهم معالم الجمالية الإسلامية في تفسير ابن باديس، أبرزها التناول الموضوعي للآيات، والاحتكام إلى ما يهتدي الاستقراء القرآني من وجوه وظواهر أسلوبه ولو خالفت بعض قواعد النحويين؛ لأن القرآن هو البيان الأعلى، تعرض عليه هذه القواعد لا أن نخضعه لها، وكذلك فهم دلالات الألفاظ والانتفاع بجهود المفسرين بعرض أقوالهم على القرآن الكريم، فيقبل منها ما يحتمله نصا وسياقا ويترك الآخر، وكذلك التنسيق بين الجانب الفني للآيات والجانب الموضوعي لها كأهم معلم من معالم الجمالية الإسلامية.

2.2 . السمات الفنية الأسلوبية في تفسير ابن باديس:

* **المقدرة اللغوية ومعرفة مواضع الكلم:** لا شك أن القارئ المتفحص (لمجالس التذكير) يلمس بوضوح مقدرة ابن باديس اللغوية التي تظهر في ثنايا تفسيره، ويتأكد لديه أن للشيخ بصرا نافذا في اللغة فهو يعرف مواضيع الكلم ويدرك معاني المفردات، وفضلا عن ذلك فهو دقيق في مظان استعمالها والشواهد الدالة على ذلك كثيرة، ففي تفسيره لقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[5] توقف عند لفظة تبارك فقال: " **(تبارك) مادة (بارك) كلها ترجع الى معنى الثبوت منها بروك الإبل استنساخها والبركة كالقرية مثل الحوض يثبت فيها الماء والبركاء، الثبات في الحرب ومنها البركة بمعنى النمو والزيادة ولا ينمو ويزيد الا ما كان ثابت الأصل، فلم تخرج عن معنى الثبوت، وتبارك من البركة فمعناه تزايد خيره**"[6] ومن مظاهر المقدرة اللغوية المميزة لابن أننا نجده يعمد أحيانا إلى الاستشهاد بالفصيح من كلام العرب وشعرهم لتوضيح معاني المفردات، من ذلك قوله في شرح لفظة **يخلد** الواردة في قوله تعالى: [7] ، فيقول: **"يخلد يبقى وطول البقاء يسمى خلودا كما قالت العرب في اثافي الصخور**

---

[1] سورة الفرقان، الآية 20.

[2] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص396.

[3] سورة العنكبوت الآية 2.

[4] كما نجد انتهاج الوحدة الموضوعية والعضوية في تفسيره يطّرد في مواضع عديدة، من بينها تفسيره للآية 18 من سورة الإسراء والتي أدرجها تحت عنوان "إرادة الدّنيا وإرادة الآخرة" فقد عضد ما ذهب إليه في تفسيرها بعدة آيات أخرى، منها الآية 20من سورة الشورى والآية 15 من سورة هود، ثم يمضي لتفسير باقي الآيات الأخرى من سورة الإسراء بعد ربط معناها بمعنى التي سبقتها.

[5] سورة الفرقان، الآية 1.

[6] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص245.

[7] سورة الفرقان، الآية 69.

خوالد لطول بقائها بعد درس الأطلال لا لدوام بقائها إذ لا دوام لها وعلى هذا قول المخبل السعدي: إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم" [1]

وحين يشترك اللفظ بين معنيين فأكثر ينبه ابن باديس على ذلك، موفقا بين الآراء المختلفة ثم يوجه بعد ذلك تفسيره للآية القرآنية بالنظر إليها جميعا أي إلى السياق الذي وردت فيه اللفظة المختلف في معناها، مثل لفظة (غراما) في قوله تعالى: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} سورة الفرقان، الآية 65 ؛ فهناك من فسرها بالشر اللازم الدائم وهناك من فسرها بالشر المهلك وهناك من ذهب إلى تفسيرها بالفظيع الشديد، أما ابن باديس، فأرجعها إلى جذرها اللغوي فرأى بأنّ {الغرام} مادة {غ رم} وهي تدور حول معنى اللازمة مع الثقل والشدّة؛ ومن ثم يوفق بين التفاسير السابقة بأن فسّر كلمة غراما الواردة في الآية بالشر والعذاب، والهلاك الدائم وبعد ذلك يفسر معنى الآية بناء على المعاني السابقة لغراما.

ولأن ابن باديس أدرك جيّدا حاجة الجزائريين إلى تنوير عقولهم وفهم عقائدهم من خلال كتاب الله تعالى وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم– اتجه مباشرة إلى أن يكون تفسيره مجردا من "**الخرافات والإسرائيليات والاستطرادات النحوية والبلاغية الكثيرة، إلا ما دعت إليه ضرورة، وحرص أن يكون أسلوبه في التفسير في قالب أدبي سائغ يستدعي متابعة القراء وينحّي عن القارئ الملل**"[2].

***عمق النظر وسلاسة الأسلوب:**

لكن مع هذا التواضع والبساطة، فإن أسلوب ابن باديس في تفسيره كان راقيا من الناحية الفنية ليكشف عن الثقافة العميقة التي كان يمتلكها الشيخ، ولعل النماذج التي عرضت سابقا والتي سيتم عرضها من تفسيره خير دليل على ذلك. ففي تفسير قوله تعالى: {لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [3] فنجده يقول في تفسيرها: "**ليس في الآية ما يفهم خصوص نتف الريش من لفظ العذاب الشديد، وإنما فهم ابن عباس رضي الله عنه وأئمة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والإعتبار، فإن نتف ريشه يعطل خاصية الطيران فيه فيتحول من حياة الطير إلى حياة دواب الأرض، وذلك نوع من المسخ، وقد علم أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا فلهذا فسروا العذاب الشديد بنتف الريش**" [4]. فبالرغم من بساطة الأسلوب في هذا النموذج وسلاسته، إلا أنه يكشف عن النظرة العميقة التي نظر بها الشيخ للآيات الكريمة، والنماذج التي ألفينا فيها هذه الخاصية في أسلوبه كثيرة جدا، فيقول في تفسيره لقوله تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} [5] تحت عنوان تدقيق لغوي وعرض علمي: "**سأل سليمان عن حال نفسه فقال: مالي لا أرى الهدهد ولم يسأل عن حال الهدهد؟ فيقول ما للهدهد لا أراه فأنكر حال نفسه قبل أن ينكر حال غيره لأنه اعتبر حال نفسه إن علم أنه أوتي الملك العظيم ونسخر له الخلق، فقد لزمه حق الشكر {لله} بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصّر في حق الشكر**

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص364.

[2] حسن عبد الرحمن سلوادي، عبد الحميد بن باديس مفسرا، ص 269.

[3] سورة النمل، الآية 21.

[4] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص238.

[5] سورة النمل، الآية 20.

فلأجله سلبها فجعل يتفقد نفسه فقال مالي"[1] فهنا أيضا نجد بساطة في الأسلوب تفهمه دون عناء، كما فهمه من حضر دروس التفسير من مختلف المستويات "المثقفين، العوام" لكن مع ذلك نجد عمق الثقافة والنظرة التي يمتلكها الشيخ.

***التقسيم والتفريع**: يعد من أبرز ما تميز به أسلوب ابن باديس فباستقراء تفسيره، نجده يقسم شروحه للآيات إلى عناوين ومباحث ثم يقسم المبحث إلى أقسام والقسم إلى فروع وهكذا، ولا تكاد صفحة من صفحات تفسيره تخلو من التقسيمات التي يضع لها عناوين مثل: تفريع، تقسيم، مباحث، شروط، تراكيب، المعنى، تعديل.....الخ. فنجده يضع لكل آية يريد تفسيرها عنوان وبعد ذلك يدرج هذا التفسير ضمن عناوين جزئية، مما يسهل على القارئ فهم كل آية بطريقة تعليمية جذابة سلسة ؛ ومثالا على ذلك تفسيره للآية36 من سورة الإسراء[2] التي جعلها تحت عنوان "العلم والأخلاق" فقام بتقسيم تفسيرها إلى عناوين فرعية يستطيع أن يستشف منها المطّلع المغزى الحقيقي للآية؛ فنجده يعرضها كالآتي: العلم والأخلاق، الإسراء و ، آية العلم، العقل ميزة الإنسان وأداة علمه، كما نرى الغرب في مدنيته اليوم...المعنى، تفريع، الفرع الأول، الفرع الثاني، نصيحة على هذا الفرع، الفرع الرابع، الفرع الخامس، الفرع السادس....[3].

ولعل هذه السمة في أسلوبه تعود إلى منهجه التربوي الإصلاحي الذي يستدعي التبسيط ومن ثم التقسيم والتدرّج في تقديم الأفكار؛ حتى تصل إلى العقول بأبسط الطرق وأيسرها فتعمل على إصلاح النفوس وتربيتها على الأسس الجمالية الصحيحة في القرآن.

3. خاتمة:

كان من أهم نتائج البحث بعد استقراء مجالس التذكير الآتي:

*اعتمد ابن باديس المنهج الجمالي الإسلامي في تفسيره للقرآن الكريم، فكان متذوقا لمعانيه وتراكيبه وبيانه ومضامينه فاستطاع أن ينظر إليه نظرة شمولية متميّزة تنم عن بيان ناصع وذوق خاص في فهم القرآن واستكناه جمالياته اللغوية والأسلوبية والموضوعية؛ حيث أنه اهتم بالجوانب اللغوية والتركيبية والشكلية للآيات للوصول إلى المعنى الصحيح لها إلى جانب اهتمامه بالوحدة العضوية والموضوعية في القرآن بما يخدم تفسير قول الله عزّ وجل وبما يعينه على تيسير فهمه وتثبيته في عقول الناس لإصلاح حالهم وهذا ما دعت إليه الجمالية الإسلامية.

*اتسم أسلوب ابن باديس بجملة من الخصائص الجمالية كانت في مجملها تنمّ عن مدى امتلاكه لآليات التبليغ والإبانة اللغوية من جهة والثقافة العميقة التي تميز بها من جهة أخرى ونظرته الثاقبة في الآيات؛ إذ لا يتوقف عند شرحها بل يجتهد في تفتيق معانيها وربطها ببعضها وكشف وجوه الإعجاز اللغوي والبلاغي فيها بتبيان دواعي استعمال القرآن لفظة أو تركيب دون سواه؛ ولعل هذا ما لا يستطيعه أيّا كان إلا من كان مستواه اللغوي والفكري والديني في مثل المقومات الفكرية المميزة لمسار ابن باديس في تفسير القرآن، فقد سخره لبناء جيل رباني ونهضة أمة بعد طول رقاد.

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص326.

[2] {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }الإسراء، الآية 36.

[3] بالعودة إلى كتاب مجالس التذكير أو حتى إلى فهرسه نستطيع أن نفهم جيدا ما المقصود بسمة التقسيم والتفريع في أسلوب ابن باديس .

*وقد كان من أهم التوصيات التي خرج بها البحث ضرورة فتح باب الدراسة بشكل أعمق لاستنباط معالم المنهج الجمالي الإسلامي في تفسير ابن باديس وتتبعها عبر مختلف السور القرآنية التي فسرها، خصوصا مع محدودية الدراسة التي أجريناها كونها مقيّدة بعدد الصفحات مع ضرورة إبراز دوره في إعطاء قيمة حقيقية تطبيقية لهذا المنهج ، فجهده هذا لا يقل عن جهد سيد قطب وعائشة عبد الرحمان في هذا المجال.

كما يُوصي الباحث بضرورة لفت عناية الباحثين في مجال النقد إلى السعي للجمع بين هذه الجهود جميعا لإرساء منهج جمالي عربي يخص أمتنا ويراعي خصوصية أدبنا نحاور به نصوصنا الإبداعية ونستقي جمالياتها، بدلا من اللجوء إلى استيراد مناهج غربية ذات خلفية إيديولوجية إلحادية أو يهودية " البنيوية، السيميائية، التأويلية، التفكيكية "...لتُفرض على نصوصنا العربية والإسلامية فتشوهها وتقتل جمالياتها.

4. قائمة المراجع:

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

- المؤلفات:

– عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: محمد صالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، دار الكتاب الجزائري،(الجزائر، دط، دت).

– عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1،دار المعارف، (د بلد، دط، 1990)

–عمار الطالبي، ابن باديس حياته وآثاره،)دار الغرب الاسلامي، ج1،(بيروت، لبنان، ط3، 1997)

–حسن عبد الرحمن سلوادي، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب،(الجزائر، ط 1988)

–محمد أحمد الأشقر، الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث، دار وائل للنشر، ط1، 2003، ص73.

–صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الاسلام، المكتب الاسلامي، (بيروت ودمشق ،الطبعة 1، 1408هـ/1986م)

– عبد العظيم صغيري، علم الجمال رؤية في التأسيس القرآني، الصادر عن كتاب الأمة وهي سلسلة دورية تصدر كل شهرين، ع151، السنة 32، (قطر، 2012)

– نعيم المحصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ،مؤسسة الرسالة، (بيروت، لبنان، ط 1، 1980).

–سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف،(القاهرة، مصر، ط9، 1980)

- المقالات:

– ليلى بلخير، الجمالية نحو رؤية إسلامية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ع11، جامعة تبسة، ص 293.

– ليلى بلخير، يستحيل الفصل بين الجمال والمنظور الإيديولوجي، مجلة النور الجديد، ع53، الجزائر، 2002، ص 18.

– محمّد دراجي، "المنهج النقدي في التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس"، مجلة موافقات، العدد 6، السنة 6، الجزائر، 1418هـ/1997م.

- الأطروحات:

–ليلى بلخير، قصص أولي العزم من الرّسل، دراسة فكرية جمالية، ماجستير في الدراسات القرآنية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2000/1999.